

العربية ورجال المهجر كيف ينبغي أن تستفيد العروبة والاسلام من آلاف الاختصاصيين العرب في «مهاجر» أمريكا؟ الأستاذ فؤاد الشايب

مدير مكتب الجامعة العربية
بوينوس - ايرس

توصلنا من حضرة الأستاذ فؤاد الشايب مدير مكتب الجامعة العربية في بوينوس ايرس بأمريكا الجنوبية بجواب متأخر من الاستفتاء حول علاقة الاسلام باللغة العربية وهو يلقي أضواء جديدة على الشكل من جهة خاصة تتصل برجال المهجر العرب في القارة الامريكية ونحن ننشره شاكرين :

ان مصير اللغة العربية في المهاجر يبقى ابدا في قمة المشاغل والاهتمامات التي اهانها ويدي مغולה الى منفي. عسى ان يكون في اثار المشكلة ، والتعاون في مجاباتها ما يضعنا وإياكم في الطريق العلمية والعملية الصحيحة ، التي يؤلف (استفتاءكم) مرحلة ضرورية من مراحلها الاولى .

وانني اذ اشكر لكم اشراكي في الاستفتاء ، اغتنم الفرصة لادلي ببعض الراي الصريح ، الذي يتجاوز الدراسة الى حيز العمل السريع المنقلد ، في مجابة القضية . راجيا ان يكون شفيح هذا الراي ، شعوركم معنا بأن الذي يمش مع المحنة من كتب ، لا يستطيع ان ينظر اليها بقلبه ولسانه ، دون يده .

عسى ان يكون لكم ولنا بعض بعض اليد الصغيرة، في المرور من مرحلة التفكير الى مرحلة التدبير .

جاء الاسلام والعرب ثقافة ودولة. كانت العربية، في عصر النبي، مهية عبر اطوار متعاقبة من التطور والتكامل، لان تكون لغة الدولة، وحاملة رسالتها الثقافية.

فاذا قلنا ان اللغة العربية تمزجت بالقردان، كان ذلك صحيحا. واذا قلنا ان الاسلام اعتر بالغة العربية، وسال على اسلات اقلامها، كان ذلك صحيحا ايضا. فالوحي اختار منزله الصالح في الارض، والنزل الصالح تسمى حتى استحق استيعاب الوحي.

ان مدى التلازم والترابط بين الاسلام واللغة مدى غير محدود. فاذا نظرنا الى كيف أصبحت اللغة العربية اداة الادب والعلم والحضارة عامة، فيما تجاوز التخوم العربية الى بلاد فارس والروم، وكيف أصبح لتاريخ الفكر العربي اشراق حضاري ساهم فيه مثقفو العصر، على اختلاف امراقهم، أدركنا أهمية الحدث الحضاري، في تلازم الاسلام واللغة مما في تكوينه، دون ما تفاضل او تشاد بين سهم الدين وسهم اللغة في حركة التكوين هذه.

من حيث اللغة، لم يكن في تاريخ العصر، بين لغات الارض، ما هو اكثر تفجرا واشتمالا من اللغة العربية، ضمن حدود السلطان العربي الاسلامي وخارج حدوده ايضا. فكان لزلما على كل من يريد ان يعلم ويتعلم في هذا المدى الجغرافي الواسع، ان تكون بين يديه كبرى ادوات العلم والتعليم: لغة العرب

من حيث الدين فقد سجل الاسلام حدثا فدا في تاريخ تفجر الحركات الانسانية على انه توحيد بين الدين والثقافة في تناسق من الاشراق الفكري والنزوع الانساني. وكان الفتح، بخلاف الكثير من الفزوات في العالم، ثورة ثقافية جديدة عنت لها القلوب قبل الرقاب. وبديهي ان تشرق اللغة، في حنى الدولة، دينها ثورة ثقافية ورسالة حضارية.

وما يقال في تلازم الاسلام واللغة العربية، يقال في تلازمهما غروبا. لكن تلازم الغروب تدل على صفة خاصة، اذ ليس ضعف اللغة هو الذي ادى الى ضعف الاسلام والدولة العربية. بل بالعكس. فان تقلص ظل الدولة قد ادى الى تقلص ظل اللغة. وفي

هذا التلازم الغروبي، ما يشير الى أهمية سلطان الدولة، في اقامة كيان الثقافة والحضارة.

على انه بالرغم من أهمية عامل السلطان السياسي، في تكوين الكيان الثقافي الحضاري، فقد ناضل الاسلام، واللغة، منفردين او مجتمعين، طوال حقبة وبدون سلطان الدولة، نضالا جبارا ضد قوى الظلم والظلام. بما لم يتيسر ويتوافر كله، لاي دين واية لغة في نهضات الزمن الاخير.

على انه يجب القول هنا، انه بينما كان الدين عنصر مقاومة، في كثير من الحالات السلبية ضد الضياع والخضوع، كانت اللغة، من جهتها، عنصر هجوم في معاقل الظلم والظلام. ومع اطلالة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان يشهد في سماء الشرق ان اللغة العربية غدت طليعة الاشراق العربي الجديد.

وعندما تنادى العرب الى ثورة قومية ضد الدولة العثمانية المتلبسة بالاسلام، وانحصر قناع العداء التركي للعصر العربي، بحيث غدا الدين شعارا سياسيا، وليس ايمانا، وليس صدقا وحقا، كانت اللغة العربية تقف على قدميها من جديد، في دعوة الى احياء التراث الحضاري ضد مزوري هذا التراث الدائبين على طمس معالمة وجوهر فضائله. وعبر اللغة بدات حركة تلاقح فكري بين الشرق والغرب، بالترجمة والنقل، من اهم مظاهرها في القرن التاسع عشر، ادب النزعات القومية. ونشأت اجيال عربية جديدة في دور ثقافي ركناء: احياء التراث العربي وتأكيد الوجود القومي المشترك.

ومن اهم ملامح الدور القيادي الذي نهضت به اللغة العربية، نثرا وشعرا في المواطن العربية نفسها، وفي المهاجر التي نزع اليها النازحون، ان شارك المثقفون، مسلمين ومسيحيين، في احياء التراث العربي وفي الدعوة الى قومية عربية مستمدة من امجاد هذا التراث. ولا يجهل باحث في ادب القرن التاسع عشر وطلائع العشرين، اسماء الاعلام العرب الذين كانوا على القيادة الفكرية في المواطن والمهاجر.

وفي المهاجر بصفة خاصة، وباندفاع نادرة المثال، تغنى الشعراء والمؤرخون بامجاد الامة الواحدة،

التي تحدثت دولة وكيانا من فجر الاسلام . وجرت كلمنا (الاسلام) و (العروبة) على اقلامهم ولهواتهم مترادفتين غير منفصلتين في الجوهر . وتساقت محافل الشعر الى احياء ذكرى المولد النبوي ، في عواصم المهاجر ، ولم يخل ديوان شاعر مسيحي من قصيدة او قصائد تنفي بمجد الرسول على انفسهم نهج البردة وعلى انغام واوزان سواها . وبهذا تتجلى مبقرية اللغة العربية مصعدة بالعمل الادبي ، في احياء التراث منظورا اليه في كلياته المطلقة ومعانيه الخالدة .

من هذه الزاوية ننظر الى كل دعوة تمس كيان اللغة وجوهرها ، كانها دعوة الى توهين العروبة والاسلام على السواء .

ومن هنا ننظر الى ضعف الاسلام في نفوس المهاجرين المسلمين الذين نزحوا الى المهاجر الامريكية، على انه ضعف في اللغة التي تمارس بها العقيدة . وان تكن ثمة اسباب اجتماعية وجبهة في تفسير تساؤل الوهي الاسلامي ، فيجب الان ننسى ان من اخطر بواهب الوهن الديني وهن اللغة في ربط ما بين لسان المؤمن وشعوره .

وقد شهدت جمهورا مسلما في جامع مهجري ، يصفي الى واضع خطيب يتدفق بلافة وبياناً ، حتى انتقلت الى الجمهور حماسته كما تنتقل الكهرباء ، وراح بعضهم يبكي وينشج . فسالت بعضهم : لماذا يبكون ؟ اتفهمون كل ما قاله الواضع ؟ قالوا اننا نبكي لاننا لا نفهم .

وجاء المترجم يلخص مظة الخطيب ويترجم بعض الآيات فتحركت الرؤوس مرتعشة ببعض المعاني . ولكن الوجوه ظلت جامدة والعيون مطشى لا يطل منها ذلك الاشراق المجيب الذي ينبعث من الاعماق ، حيث تخترق الكلمة الشفاف وتستقر في منابع الاشراق . وتوارى المترجم كانه اقترب ذنبا واحاط الجمهور بالخطيب وهم لا يعرفون العربية وهو لا يعرف الاسبانية ، وفي ميون الجميع ذلك الوله الذي يعبر من مجز البلوغ وامتناع اللقاء .

وفي الجواب من فقرة من سؤالك اقول :

ليس للفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن ، اي تأثير في لغة الجالية الاسلامية العربية في الارجنطين ، او في لهجاتها . وعددها يكاد يبلغ

الاربعمائة الف نسمة - بل اكاد اقول - دون النظر الى العدد الضئيل المحدود من المتنورين - ان ليس للثقافة الاسلامية اثر في تكوين شخصية المسلم الهجري . فلا هو يتلقى الفكر الاسلامي من العربية ولا هو يتابعه من الاسبانية في اقل تقدير . انه مسلم لانه لا يشكر لمولده الديني ، ولكنه يفرق في المجمة باستمرار . وان يكن فخورا بانسابه فلا يكفي ان يكون الفخر وحده عامل المقاومة والاستمرار .

بل لنقل المكس في تأثير اللغة الخارجية على العربي المسلم في المهاجر . ان صديقا لي يدعى حسين عباس ، هو في الهوية وفي المجتمع (خوسيه ابيه) . اما (خوسيه) فهي ترجمة (حسين) . واما عباس فقد اصبح (ابيه) ، كما اصبح عبد الكريم (امريكو) . وهكذا تريد الدولة ان تعطي رعاياها اسماء تنسجم مع اسمائها ، لينصهر المواطن في وطنه الجديد . وفي هذا الوطن الجديد، الوف المدارس الاجنبية للانكليز والفرنسيين والبرتغاليين، كجاليات، بل لليهود مئات المدارس ومهترات للارمن . وليس للجالية العربية التي تبلغ المليون نسمة في المهاجر الارجنطيني ، سوى بضعة مراكز للتدريس العربي غير النظامي لا يكاد يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة .

ايها السادة في المكتب الدائم لتنسيق التمرير - في الرباط

انني اذ اتخطى في جوابي من سؤالك حدود السؤال ، الى طرح قضية ومعالجة مأساة ، فلانني اريد ان احتبل الفرصة لاطالبكم ليس كمكتب تعريب فحسب بل كجماعة توجيه ايضا ، لاسيما وقد تجاوزتم في سؤالك المحيط العربي الى المجتمعات خارج الوطن العربي .

ليس شائي في هذه المجالة ، ان اضني في كيف يصح اسلام المسلم في باكستان - وايران وتركيا والصين مثلا - بل انني لاعني حقا في كيف يصح اسلام المسلم العربي بالذات في مهاجره الاسيوية والافريقية والامريكية . والمسلم العربي ، كما اري بوضوح ، لا يمكن ان يصح اسلامه الا بعربيته ، كما لا يمكن ان تصح هروية اي عربي آخر الا بعربيته ايضا . ان صاحب الرسالة مسؤول ، والعربي هو وريثها الوحيد . وقد رأينا كيف نهضت

يصوروا مريم العذراء - مثلاً - بصورة صينية او هندية او زنجية ، تقريباً للصورة من اذهانهم ووجدانهم . والفرق ان الاسلام مغروس في العروبة والعربية ، وبهذا يتميز كرسالة سماوية ، وانسانية ، عما سبقه من اديان .

ومثال ذلك ايضا :

في تجاربي الشخصية ودراساتي للادب المهجري في اوائل هذا القرن ، ان الادباء والشعراء المسيحيين ، الذين كانوا رواد نهضة ادبية مشهودة في الامريكات قد وصلتهم لغتهم وصلاً روحياً قوياً بقوميتهم وبتراثهم العربي ، الذي في قمته القرآن الكريم . وكانوا اكثر وعياً وتفهماً للإسلام ، وامتزاجاً به ووفاء لحقه عليهم ، ليس اكثر من العامة العربية فحسب ، بل اكثر من العامة الاسلامية نفسها . وذلك من بديهيات نفاذ اللغة الى التاريخ والتراث ، ومن وحي هذا التاريخ ، وهذا التراث الحضاري ، بلغته لا يمكن الا ان يحبه ويفي له .

ومثال ذلك ايضا :

انه قد غدا من الثابت ، في السابق واللاحق ، من دراسة ثقافات الدعاة وسير حياتهم - من اجانب وعرب - ممن دعوا الى التاليف والكتابة بالعامية ، حتى ممن دعوا الى الكتابة باللاتينية ، انهم اصحاب افراض واهواء مشبوهة . بل خرج بعضهم من الشبهات الى الافتضاح ، ولغدوا يشار اليهم بانهم يعادون العربية لانهم يريدون ان يحرروا انفسهم من تلازم الدين واللغة والعروبة ، اما لانهم يخشون العروبة ، او لانهم يخشون اللاتينيين . وليس من شك بعد في ان الدعوة الى العامية محاولة لتعطيم جوهر الوحدة ، والدعوة الى اللاتينية بحجة العالمية ، محاولة لتعطيم مجد الرمز . فاللغة العربية ، بالدولة العربية القادرة ، غدت خلال قرون طويلة لغة الشعوب في آسيا وأفريقيا وأوروبا . وقد انتصرت العربية بين يديها ولم تهدر هي سلامتها تحت اقدام العالمية . وادبنا العربي الحديث ، قد قصر عن العالمية ليس لانه مكتوب في الحرف العربي بل لان الادب الجديد نفسه كعنصر ابداع ، لم يرق بعد الى العالمية ، وما رقي منه حتى الآن ، موجود في مكاتب العالم مترجماً مصفى اليه محتفى به ، ثم لا ينسى شأن الدولة في المرون الى المستويات العالمية .

اللغة العربية في بدء عصر النهضة الحديثة ، بدور الدين والدولة معا في قيادة الموكب العربي الصاعد . وليس من شك في ان هذه الظاهرة الرائعة حدثت من احداث التاريخ جدير باهتمام الباحثين وفتابهم والحاكمين المسؤولين مثلهم ايضا .

ان رقم المليون عربي مسلماً ومسيحياً ، في الارضتين يقلل الى اربعة ملايين حتى الخمسة في دول امريكا اللاتينية . ومندها نمود الى تاريخ هذه الهجرة العربية الضخمة ، منذ مائة عام ، نفكر في مآسيها وفواجعها . ولكن عندما ننظر اليوم الى واقع هذه الهجرة ، لا نلبث ان نحمد هواقبها من باب لا تكرهوا شيئاً لعله خير لكم . افكر في الزخم الروحي والثقافي الذي اعطته هذه الهجرة لتاريخ اللغة العربية والفكر العربي في المهاجر . وافكر في هذه المعجزة التي تمت على ايدي المهاجرين الرواد ، احبوا امجاد الاندلس في الامريكات . ثم افكر في تلك الانطلاقة المستقبلية الكامنة في اصاق اربعة ملايين عربي ، عندما تستطيع ان تفجرها اللغة العربية ، والتعليم العربي ، فتردها للعروبة قوى عاملة في كتل بشرية ضخمة تعد نفسها لمستقبل عالم جديد بينما هي اليوم في واقعها قطع جليدية مبعثرة في المحيط ، آخذة يوماً بعد يوم بالدوبان او بالانحدار نحو القاع .

اريد ان اتحفظ قليلاً فاقول : لولا مجهودات مشكورة اخذت طابعا جديداً في الاصوام الاخيرة ، لاحياء الدين الاسلامي في قلوب المسلمين ومقولهم من جهة ، ولولا ما تثيره قضية فلسطين في نفوس هؤلاء القوم العرب او من اصل عربي ، من جهة ثانية ، لكانت الصورة اكثر ظلاماً . ولكن هذا وذاك ، لا يتدرع باللغة العربية سبيلاً الى احياء الدين او احياء الشموخ القومي . وان تدرع قليلاً جداً . ويبدو بالاجمال ان هناك غفلة لدى قيادة الرأي ، من اهمية اللغة في ربط ما بين العربي ودينه ، وربط ما بين العربي وقوميته .

ومثال ذلك :

انا لا اوافق على ان احياء الدين الاسلامي لدى المهاجرين ، يمكن ان يسلك مسالك التبشير المسيحي في الاصقاع البعيدة ، حيث يتم التبشير بلغة المحيط ووفق لهجاتهم وعصوراتهم المحلية ، كان

الاستنتاج بنقاط مختصرة :

من المفيد ان تعلم الدول العربية بأن حكومة
الارجنتين - مثلا - تشجع تشييد المدارس النظامية
التي تدرس لغة البلاد وأية لغة أخرى ، ما دام
البرنامج نظاميا . والمساعدة الحكومية يمكن ان
تبلغ السبعين بالمئة من ثمن الأرض والبناء . فما قول
الأخوان في هذا ؟

- اقول يجب ان يأتي المدرسون من البلاد
العربية حاملين علما وأخلاقا وشعورا بالمسؤولية
الكبرى . ليس لان المدرسين مجرد مساعدة
(انفاقية) بل لانهم يتولون رسالة ويقومون بدعوة .
وهنا أهمية الفكرة .

- بدأت الجامعة العربية بتأسيس صندوق
الدعوة العربية . وليس أهم ولا أجل من ان تبدأ
الدعوة العربية من اللغة العربية ، ويكون الاتفاق على
(اللغة) جزءا كبيرا من الاتفاق على (الدعوة) :
الدعوة للغة ، الدعوة للتراث العربي ، الدعوة لفلسطين .
وكيف تنفصل الدعوة لفلسطين عن الدعوة لها في
الجاليات العربية التي هي في المقام الأول سلاح
الدعوة ويجب ان تكون سلاحها ؟ .

- وفي رأي الأخير ان صندوق الدعوة العربية
بإشراف الجامعة العربية ، يجب ان يتكامل ويتصاعد
بمساعدة الدول العربية والجماهير العربية ، وان
يعلن بأن تعليم أبناء المفتريين جزء من الدعوة ،
وموارده ونفقائه جزء من موارد صندوق الدعوة
ونفقائه .

قد يعترض معترض ويقول : ان الامية تسود
أرجاء الوطن العربي بنسب تتراوح بين خمسين بالمئة
وسبعين بالمئة . وأولى بالدولة العربية ان تعنى
بأبييها قبل ان تعنى بمهاجريها والاعتراض مرفوض
لأسباب ، أهمها :

أولا - ان المواطن العربي يربيه وطنه ويوجهه
ويواصله روحيا بأخلاقية الوسط والمجتمع ، ولا خوف
عليه من الفضياع . أما المهاجر العربي فهو (يتيم
العرب) والمهاجرون يتامى لا صلة لهم بأرضهم
وطنهم فما حكمة القول ان نتركهم يتامى .

- المهاجرون العرب وأبناء المهاجرين بحاجة
ماسة ومعالجة الى تعلم اللغة العربية والتدرج في
فهمها ، ابتدائيا واكماليا وثقيفيا .

- حتى الآن تراخت الدول العربية ، منفردة او
مجتمعة ، عن تقرير خطة مدروسة وتنفيذها .

- أهم ما يجري من حوار حول هذا الشأن قول
الدول العربية انه من شأن المفتريين العناية بلفتهم ،
لأسيما وان كثيرين منهم أصحاب ثروات وقدرات .
وقول المفتريين في الرد على هذا القول ان الدول
العربية تهمل المفتريين وتدير لهم ظهورها ، وهي التي
يجب ان تفتح المدارس وتنفق عليها ، كما تفعل بعض
الدول الأجنبية في مساعدة جالياتها المهاجرة
- وبالفعل تفعل - .

- ان هذا الحوار سمعته منذ عشرين عاما ، ولا
يزال دائرا وسيظل دائرا ، كالحجر الذي تدور على نفسها
وليس ما تطحنه .

- بالحق ان المفتريين أولى بالاتفاق على
مدارسهم . ولكن الحجر الأساسي لبدا العمل يجب
ان تضمه الدولة العربية - اقول الدولة واعني جميع
الدول -

- فالقضية ليست قضية من ينفق . بل هي
الآن واليوم قضية من يبدأ . والدولة هي التي تبدأ ،
والأهلون سيتولون الاتفاق يقينا . ولكن بعد مرور
مرحلة الحجر الأساسي .

- ان القيادات الفكرية في واقع الجاليات
الحالي ، ضعيفة ، وغالبا ما تكون مفتقدة والدولة
العربية في المرحلة الأولى ، يجب ان تتولى قيادة
الرأي . وأنا على يقين انها ما ان تضع النار في الشعلة
حتى يتكامل الاشتعال بناموس حركة الشرارة .

- ان المدرسين يجب ان يأتوا من البلاد العربية
ومعهم خبرة التدريس ومواد التدريس وبعض العون
المادي لبدا التأسيس . أما اشادة البناء المدرسي
فيمكن ببسر ان يتم من قبل الجاليات .

ثانيا - اذا كان المواطن المقيم جزءا من بناء الوطن الداخلي، فالمواطن المغترب امتداد لكيانه المادي والثقافي معا . وهو حياة اجتماعية اخرى فيما وراء حدود الوطن . وفي ظروفنا السياسية الراهنة ، يمكن ان يكون المغترب اجدى فعالية من المقيم ، في خدمة بلاده وقضاياها الخارجية . وعلى هذا فان المغتربين ثروة بشرية وموجة حضارية من الطراز الفريد في تاريخ العرب الحديث .

ثالثا - ان النهضة في حياة الامم حركة شاملة ذات اجزاء متكاملة ، لا يهمل بعضها لحساب البعض الآخر، كان يعمل للسياسة دون الاقتصاد ، او للاقتصاد دون الثقافة ، او للرجل دون المرأة ، او للمواطن دون المغترب . هذا اذا وضعنا بديهية اننا امة ذات مستقبل ورسالة حضارية . واننا يجب ان نخطط لهذا المستقبل ولهذه الحضارة . واللغة ثرائنا الحضاري الخالد .

قد يفترض معترض آخر ويقول : قضي الامر واندمجت الجاليات العربية في محيطاتها وابتلعتها اوطانها الجديدة التي تنتسب اليها وتندمج فيها .

والرد على الاعتراض :

اولا - لا يهم ان تكون الاجيال من اصل عربي قد انتسبت واندمجت . فالبلاد العربية بالواقع لا تفتش عن مزيد من عدد الرعايا ، التي لا يفسر اوطانها ان تعمل في جنباتها روحانية الثقافة العربية العريقة ، بل تفتح لها صدرها اذا وجدت .

ان مجتمعات جديدة ، مثل مجتمعات امريكا اللاتينية ، تفتش عن جذور لها في الامم ، لانه ليس لها في تاريخها تلك الجذور . وهي برغم اتجاهاتها نحو الثقافة الاوربية بدافع السياسة احيانا ، والتقليد للغرب احيانا اخرى ، لا تجهل انها امتداد لحضارة اللغة الاسبانية التي تؤلف العربية خمسة عشر بالمائة من قاموسها الرسمي او اكثر (1) . وللاندرلس الاسبانية التي عاشت في دم اهل البلاد ثمانمائة سنة ، وظلت تمتد وتنتشر بعد ذلك في العادات والتقاليد والاقوام النازحة هنا وهناك ، حتى بعد هروبها السياسي . ففي الارجنتين والبرازيل - مثلا - يرمز الى رجل (الفاوتشو) - رجل الصحراء - على انه نموذج الامالة الوطنية، وعلى انه الدقة العربية التي انساحت في ارجاء البلاد من الاندلس وعلى انه يمثل حقا هراقة الاصول الاولى التي انفرست في الارض قبل ان تغد اليها وفود المهاجرين من اوربا . وفي الارجنتين اليوم تبار ثقافي قوي يريد اعطاء البلاد اخلاقية عريقة ، هي اخلاقية الرجل (الفاوتشو) ساكن البلاد القديم ، رجل المروءة والحرية والفروسية ، ضد التيار الاوربي الغربي الذي هو في رأي بعض الوطنيين الارجنتينيين من هذه المدرسة تزوير لشخصية الارجنتينيين الثقافية والاخلاقية - ولهذا الموضوع حديث طويل (2) .

اذن فلا الدين استوطنوا هذه المهاجر بعائدين ، ولا اوطانهم العربية بحاجة حقا الى عددهم . ان خمسة ملايين في المهاجر الامريكية كلها يمكن ان تنتجهم الامة العربية في مدى خمسة اعوام او اقل . ولكنها

(1) يعيش في مدينة (كوردوبا) المدينة الثقافية الجامعية الاولى في الارجنتين ، عربي سوري هو الاستاذ يوسف الفريب . وينصرف الى ترجمة الآثار العربية الى الاسبانية . وقد ترجم (كلية ودمنة) و (عمر الخيام) ومجموعات من حكم العرب واقوالهم في كتاب (الحكمة العربية) ، كما ترجم جبران ونعيمة وشفيق المعلوف . وقضى خمسة عشر عاما في ترجمة القاموس الاسباني الرسمي الى اللغة العربية ، في اكثر من ثلاثمائة الف كلمة ، مشيرا الى الاصل العربي للكلمات الاسبانية . وهو قاموس فريد من نوعه يقع في ثلاثة اجزاء جاهزة للطبع . والاستاذ الفريب في سن السبعين ويعتبر نموذجا للرجل العربي المغترب الذي كرس نفسه لخدمة لغته ووطنه .

(2) يساعد مكتب الجامعة العربية في بونوس ايرس احد الباحثين المؤرخين المعروفين (سيزار كيروس) في تأليف كتاب عن الجذور العربية لرجل (الفاوتشو). ومساهمة هؤلاء الصحراويين الارجنتينيين في معركة استقلال الارجنتين ، كمحاربين اشداء وفرسان مروءة ووطنية .

لا يمكن ان تؤلف هجرة جديدة ، على هذا المدى الفريد
فى التاريخ الحديث . لقد كانت الهجرة رمية اقداره .
ومن ذكاء السياسة أحيانا ان يتحالف الانسان مع
اقداره . عندما يكون هذا التحالف فاصلا ايجابيا
مغصبا .

ثانيا - من عجيب امر هذه الهجرة ، ان الابناء
والاحفاد ، الذين هم أرجنتينيون بالمولد لا بالتجنس ،
يستفيق جمع منهم على (شرف الانتساب) ، فاذا بهم
أكثر احساسا بقضية الوطن الذى تعدل آباؤهم
واجدادهم منه . ولهذه البقطة الروحية اسباب ،
أهمها : ثقافة الاجيال الجديدة من جهة ، وبراءتهم من
مركب النقص والاضطهاد من جهة ثانية . وعلى النقيض
كان آباؤهم واجدادهم فقراء أميين مصابين بدكرياتهم
المريرة ، يشعرون بالاضطهاد، سواء فى تذكر المواطن
الذى هجروها ، ام فى المواطن التى لجأوا اليها . فهم
ليسوا سوى طالبي امان ورزق ، ونسيان ايضا .
ولكن يجب الا ننسى مع ذلك ، ان الدفقة المهاجرة
الثقافية فى اواخر التاسع عشر واولل العشرين ،
مما المعنا اليه ، قد صدرت من هؤلاء المرحلين
الاميين الذين ، كما يقول بعضهم ، (علمتهم غربتهم
الوطنية) ، والذين فهموا اسرار اللغة ، فى المهاجر ،
ودرسوا التاريخ ، واعطوا الادب العربى حياة جديدة .

ان المستيقظة مشاعرهم من الاجيال الجديدة
ليسوا كثيرين بعد ولكنهم قلة تدل على وجود الينايع
فى الارض العميقة .

قد يكون ارتداد بعضهم الى الينايع نموذجاً
امريكي لاتييا شائما فى التفتيش من اصالة ، من
مراقبة ، من جدور عميقة . ولكن من المؤكد ان
الارتداد الى منابع النسب العربى ، من طريق الدين،
او من طريق اللغة والتراث عامة ، يحمل شعورا
عميقا ، غير مزيف بشهوة التفتيش من (مظاهر)
الاصالة وحدها .

حتى الارجنتيني نفسه من مدرسة (الفاوتشو)
يتجاوز فى نظره الى المنابع، موضوع الدراسة
التاريخية ، والبحث العلمى ، ويعتبر وجود (الفاوتشو)
فى الاصول مسألة ثقافية اخلاقية .

ثالثا - يقال ان الجاليات العربية تفسخت فى
المرحلة الزمنية الاخيرة ، سياسيا وقوميا ودينيا ،
وغدت مجموعة من المتناقضات والاتجاهات .

وهذا صحيح . بقى ان نعرف بالتفصيل وجه
هذه الصحة . ان امراضهم ليست من صنمهم بل من
صنع اوطانهم . والتفسخ هو بضامة مصدرة من
المواطن الى المهاجر ثم ان هذا العالم قد تقلص ابعاده
وغدت تجري اخباره بسرعة البرق . وهؤلاء
العرب يعيشون فى هذا العالم وليس فى الكهوف
المحجوبة من اجنحة الطيران والسنة البرق . وكثيرا
ما نمجز فى الاجابة عن تساؤلاتهم وحيراتهم
وشكوكهم . ثم كثيرا ما نطلب اليهم ان يديروا ظهورهم
لمشاكل اوطانهم . ويكون الابدون قدوة للاقربين .
ولكن كلامنا بالحق ليس سوى (موعظة حسنة) .

ومع ذلك فكثيرا ما جردوا قفية اوطانهم تجريدا
ورفعوها الى مستويات العقائد والكتليات وتجاوبوا مع
ثورات اوطانهم فى الاحزان والافراح ، والهزائم
والانتصارات . وقامو وقعدوا على آمال مشرقة
وخيبات مريرة .

ومع ذلك فقد منحوا بلادهم مدرسة ادبية فريدة
وفجروا فى المهاجر وفى المواطن مشاعر قومية اصيلة،
اقوالا واصملا ، خلال خمسين سنة من اوائل هذا
القرن . وارسلوا الى اهلهم مليارات من الاموال كانت
بالواقع جزءا لا يتجزأ من الدخل القومى العام الذى
ساهم فى رفع مستوى المعيشة فى قرى ومدن كثيرة
كبيرة وصغيرة . ولم يكن شعر المهاجر وحده الذى
يلغ الاوطان ويشير المشاعر والمخيلات ، بل كانت الوف
الرسائل الصغيرة تصل كل عام ليقرأها تحت ضوء
قناديل الزيت والكاكاز فى القرون النائية وازقة المدن
الخلفية ، الوف المواطنين المتواصلين مع اهلهم
برسائل الاشواق والاحزان .

لقد منحوا كثيرا ولم نمنحهم شيئا . لم ينسوا
اصولهم الى الحد الذى يؤممه المتعمون ، بل نحن فى
المواطن قد نسيناهم . وعندما يخطر لنا ان نفكر بهم ،
فى شأن انشاء مدرسة عربية ، لا نزال منذ ريع قرن
نساءل كأننا اذكىاء : من يبدأ؟ هم ام نحن ؟... من
يدفع ... هم ام نحن ؟

مقررة على مراحل ، تشترك في تمويلها الدول
والجماهير معا ، في المواطن والمهاجر ؟

ايها الاخوة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب

ارجو مقدرتي اذا استطردت من الجواب عن
اسئلة استفناكم الى الخوض في تفاصيل الوضع
الاجتماعي والثقافي العربي في المهاجر. وفي رأيي ان
هذا التفصيل ملازم لجوهر القضية ، لاننا اذا طمعنا
الى بعث اللغة العربية خارج حدود الوطن
العربي ، وجب علينا ان نعترف ما هي الشروط
الاجتماعية والثقافية الكائنة والتي يجب ان تكون ،
لتصبح مظامنا اكثر من امنيات وابعاد من مجرد
(دراسات) .

احبيكم واشكركم واضع نفسي ، ما دمت في
هذا المهجر ، صاحب مسؤولية ، تحت تصرفكم في
كل ما يخدم الاهداف السامية التي تعملون في
سبيلها .

يستوي في اعمال المغتربين جميع المواطن
العربية بالاضافة الى المواطنين الاساسيين : سوريا
ولبنان . والا فكيف نريدهم ، للغة والتراث وللسطين،
وننظر الى واجبات الدول العربية ازاءهم كوحدة ايضا
لشعرهم حقا بانهم اصحاب حقوق واصحاب
تبعات مما ؟

لماذا - مثلا - لا يشترك كويتي في مساعدة
مدرسة وسعودي في ترميم كنيسة ، وليبي في انشاء
جامع ؟ لماذا لا يدمى كاتب سوري الى المغرب او طبيب
لبناني الى اليمن ؟ ولماذا لا نستفيد من خبراتهم ونحن
نركض وراء الاجانب من اصحاب الخبرات ؟ ولماذا لا
نقيم لهم حلقات دراسية وبعثات جامعية .. وجولات
سياحية؟ والنخ الخ الخ .

بل لماذا لا نبدأ على الفور بتخصيص جزء من
دخل صندوق الدعوة العربية لتعليم اللغة العربية
ونشر آدابها وتراثها ؟ ولماذا لا نضع خطة علمية